الرّحالة الجزائري أحمد بن عمّار (ت- نحو 1205هـ- 1790 م)

عبد الجليل شقرون – جامعة تلمسان

djalilchekroun@yahoo.fr

ملخص البحث:

سعيا منا للمساهمة في التعريف بالشخصيات و الأعلام الأدبية و التاريخية التي أثارت الساحة الأدبية بالعديد من المؤلفات التي أعطت للمؤرخ كمّا هائلا من المعطيات و الأوصاف و التقارير و الملاحظات القيمة التي استشف منها التاريخ الإسلامي ،وقع إختيارنا في هذه الدراسة على شخصية الرّحالة مفتي المالكية بمدينة الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري "أحمد ابن عمار بن عبد الرحمن بن عمار ، أبو العباس" صاحب مخطوط "نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب" و الذي يعد من نبغاء الناس و أفظلهم صاحب القلم السيال و طلاقة اللسان الذي اشتغل بالحديث و التاريخ .

كلمات مفتاحية:

أحمد بن عمار/ الرّحلة/الحجاز.

Abstract :

The Algerian Pilgrim Ahmed Ibn Ammar (1205 AH – 1790)

With our intention to contribute in the introduction of characters and literary and historical personalities who raised Literary scene with several publications which gave to the historian a big quantity of data, descriptions, reports and precious remarks by which islamic history discerned, we chose, in this study, the personality of the pilgrim, mufti of Maalikis in the city of Algiers during the twelfth century AH “Ahmed Ibn Ammar Ben Abdurrahmane Ben Ammar, Abu Al-Aabbas” whose manuscript is “the bee of the judicious in the news of the journey to the beloved” who is considered among the best people, owner of the pen, and fluency who worked for speech and history.

Key words: Ahmed Ben Ammar – the pilgrim - Hijaz

مقدمة:

أدب الرحلة ، أو الكتابات التي صدرت عن الرحالة تعدّ من الموضوعات الهامة التي طبعت الفكر العربي طيلة العصور الوسطى و الحديثة ،و الباحث في التاريخ الإسلامي يلاحظ أن معظم ما كتب حول المجتمع و حول المدينة الإسلامية مصدره الأول الرحالة ،ومهما كان الغرض من الرحلة التي غالبا ما كانت للبقاع المقدسة أو للتجارة أو وفادة للتمثيل الدبلوماسي ،أو لطلب العلم ،بل و حتى للمشاركة في الفتوحات الإسلامية ،كلها أعطت للمؤرخ كمّا هائلا من المعطيات و الأوصاف و التقارير و الملاحظات القيمة التي استشف منها التاريخ الإسلامي . كما تمثل كتابة الرحلة صنفا متميزا من الكتابة الأدبية التي عرفتها بلاد الجزائر العثمانية ،ويعتبر هذا الصنف امتدادا لكتابة الرحلات التي عرفها المغرب و الأندلس من قبل ، من أهم هذه الرحلات نذكر رحلات إبن رشيد (ت721هـ)[1]،و أبي القاسم التجيني[2] (ت730 هـ) و العبدري[3] (ت بعد740 هـ) و أبي البقاء البلوي[4](ت 768 هـ) و المقري الجد[5](ت 759 هـ) ،و القلصادي[6](ت 891 هـ) و غيرهم و لقد أسهم الجزائريون

---

[1] محمد بن عمر بن محمد ،أبوعبد الله ،محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي (657-721 هـ- 1259-1321 م)رحالة ،عالم بالأدب ،عارف بالتفسير والتاريخ. ولد بسبتة ،و ولي الخطابة بجامع غرناطة ،ومات بفاس .رحل إلى مصر و الشام و الحرمين سنة 683 هـ و صنف رحلة سماها ' ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة. **السملالي ،العباس بن إبراهيم** : الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام ،ج4 ، المطبعة الملكية ،الرباط ،ط2 ،1998 ،ص 342.

[2] هو الإمام المحدث الرحال الراوية علم الدين القاسم بن يوسف بن محمد بن علي ،أبو القاسم التجيبي السبتي ،و التجيبينسة إلى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهاء من مذحج ،إحدى القبائل العربية التي نزلت الأندلس و ديارها بسرقسطة. ولد الإمام عام 660 هـ ببلنسية ثم رحل مع أسرته إلى سبتة .م آثاره رحلته المشهورة 'مستفاد الرحلة و الإغتراب'توفي أبو القاسم التجيبي بسبة سنة 73 هـ.**التنبكتي ، أحمد بابا:** نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ،تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1989، ص 362 .

[3] الشيخ الإمام ،الحافظ الناقد الأوحد ،أبو عامر محمد بن سعدون ابن مرجى بن سعدون القرسي العبدري ، الميورقي المغربي الظاهري ،نزيل بغداد.**الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان** :سير أعلام النبلاء،تح:شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1996 ، طبعة 11، الجزء 9 ، ص 579 إلى 583 .

[4] خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالدالبلوي،أبو البقاء :قاض، من فضلاء الأندلس .كانت إقامته في قانورية ،من حصون وادي المنصورة ،و هو قاضيها .و حج وصنف رحلته 'تاج المفرق في تحلية علماء المشرق . **خير الدين ، الزركلي:** الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ج2 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط 15 ، 2002 ، ص 297 .

[5] محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي التلمساني ،شهر بالمقري .باحث،أديب ،قاض من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته .وشيخ لسان الدين إبن الخطيب و عبد الرحمن بن خلدون.ولدبتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان ابن يغمراسن بن زيان .توفي بمدينة فاس عام 759 هـ1359 م . **السملالي ،العباس بن إبراهيم:** الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، الجزء 4،ص 382 .**نويهض ، عادل:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،ط 2، 1980، ص 312.

مساهمة واضحة في الكتابة ولا سيما خلال القرن الثاني عشر هجري (18م) حيث كانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج ،و لكن الجزائريين، بالمقياس إلى كتاب الرحلات المغربية ،كانوا قليلي الإنتاج[7]. و لعله راجع إلى عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم مثل عيسى الثعالبي[8] و يحي الشاوي[9] ،و أضرابهم ليكتبوا رحلاتهم ، و لكنهم لم يفعلوا[10].و من الملاحظ أن كتب الجغرافية المحضة لا تكاد توجد عندنا ،باستثناء رحلة ابن الدين الأغواطي و بعض إشارات الورتلاني[11] و ابن حمادوش[12] ،و يبدو أن الجزائريين لم يحفلوا كثيرا بالرحلات حتى خلال العهد السابق للعثمانيين، ومن أقدم الرحلات التي تنسب إلى ذلك العهد رحلة التجيبي التلمساني[13] التي قال عنها عبد الحي الكتاني[14]إنها في عدة

---

[6] القلصادي: (715-891هـ 1412-1486م)على بن محمد بن علي البسطي أبو الحسن، الشهير بالقلصاوي: عالم بالحساب. فرصي، و فقيه من المالكية. وهو آخر من له التآليف الكثيرة ومنتقل إلى غرناطة فاستوطنها. ورحل إلى المشرق وتوفي في بباجة تونس، ومن كتبه 'النصيحة في السياسة العامة و الخاصة' و 'شرح الارجوزة الياسينية-ط' في الجبر و المقابلة و 'كتاب الفرائض ' و 'بغية المبتدى و غنية المنتهى -ط' فرائض، و ' قانون الحساب ' و 'كشف الأسرار -ط' رسالة في الجبر و 'إنكشاف الجلباب -خ' رسالة في المنطق، و (الضروري في علم المواريث) وشروح في النحو و العروض و اللغة و الادب و الجبر والمقابلة و غير ذلك. **الورد،باقر أمين** ::معجم العلماء العرب،مكتبة النهضة العربية ،بيروت ،1986 ،ص 167.

[7] **أبوالقاسم، سعد الله** : تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني 1500-1830، عالم المعرفة، الجزائر ، 2011، ص 381.

[8] عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري ،من أكابر فقهاء المالكية في وقته،شيوخه سعيد قدورة،و القاضي الشهاب احمد الخفاجي بمصر ،توفي بمكة سنة1080 هـ. **نويهض،عادل**:معجم أعلام الجزائر ، ص 91.

[9] يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء ،الشاوي :عالم بالنحو ،مفسر ،من فقهاء المالكية .مات في السفينة و هو متجه إلى الحج و دفن بالقاهرة سنة 1206 هـ. **نويهض،عادل**:نفس المرجع ،ص 186.

[10] **أبو القاسم، سعد الله** :تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 382.

[11] هو الحسين بن محمد السعيد بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف .ولد في 1125هـ /1713م .نسبه إلى نيورتيلان قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية.شيوخه والده ،و في مصر و الحجاز أخذ عن الشيخ محمد بن محمد التونسي و أحمد بن الحسن الخالدي الجوهري .من آثاره 'نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار' و يعرف بالرحلة الورتلانية. توفي عام 1779 م بمسقط راسه و دفن في مقبرتها.**نويهض،عادل**: المرجع السابق ،ص 340.

[12] عبد الرزاق بن حمادوش ولد بمدينة الجزائر حوالي 1107هـ و عاش إلى أن تجاوز التسعين . وافته المنية بالمشرق مابين 1197 و 1200 هـ.**أبو القاسم سعد الله** :المرجع الصابق ،ص 441/438.

[13] قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي، أبو القاسم ،و يكنى بأبي الفضل (768 - 854 هـ)،و هو إبن الإمام سعيد العقباني . يعتبر شيخ الإسلام و مفتي الأنام الفرد الحافظ القدوة العلامة المجتهد العارف المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد ،الرحالة ،الحاج .له أخلاق مرضية قل لأن يرى مثلها .قرأ على والده و غيره و توفر على البحث و الدرس حتى حصل العلوم و بلغ درجة الإجتهاد. **إبن مريم الشريف ،أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد المليتي المديوني التلمساني**: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر ،1908 ، ص 147 - 149 .

[14] عبد الحي الكتاني ولد سنة 1302 هـ - 1884 م بفاس و توفي 12 رجب 1382 هـ - 1962 م بنيس .محدث و مسند و مؤرخ مغربي أخوه و شيخه هو الفقيه و الشاعر أبو الفيض الكتاني . **محمد،حجي** : موسوعة أعلام المغرب ، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر و الرابع ،الجزء التاسع 1361-1400هـ ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1996 ،ص 3371.

مجلدات و انه قد اطلع عليها بتونس و اعتبر الكتاني مؤلفها مفخرة لتلمسان ،كما أن أحمد المقري[15] قد ساق في " أزهار الرياض" رحلة لجده محمد المقري التلمساني[16] أستاذ ابن خلدون[17].

وسعياً منا للمساهمة في هذا المسار النبيل الهادف إلى التعريف بالشخصيات الادبية التي أثارت الساحة الأدبية بالعديد من المؤلفات وقع اختيارنا على شخصية جزائرية تمثلت في شخصية الرّحالة الجزائري أحمد ابن عمار(ت- حوالي 1205 ه) العالم الرحالة الفذ ،صاحب مخطوط (نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب).

ترجمة الرّحالة ابن عمار:

إنَّ أبسط شيء يحسُن أن يعرفه الدّارس عن شخصية تاريخية معينة ،هو تاريخ المولد ،والوفاة والنسب ،ومعالم الشباب والكهولة،ومعالم التربية والتعليم الأولى ،حتى يستطيع أن يلم بمعالم هذه الشخصية وجوانبها الثقافية، وتأثّرها بالوسط الذي عاشت فيه، وتأثيرها عليه ،غير أن هذه المعلومات البسيطة عن شخصية ابن عمّار مجهولة،ولا يتوصل الدارس لمعرفة بعض النتف منها إلا إذا لجأ لكثير من الموازنات والحسابات الدقيقة لبعض العلاقات التي كانت بين ابن عمّار وشخصيات أخرى معاصرة،وهو العمل الذي اضطر إليه أبو القاسم سعد الله، عندما تعرض لشخصية ابن عمّار في كتابه الموسوعي :تاريخ الجزائر الثقافي[18].وبالرغم من أن ابن عمار كان مهتما برجالات عصره، فترجم لكثير منهم، إلا انه نسي أن يعرّف بنفسه،عامدا أو متجاهلا،ولم يفعل ذلك مثلما فعله كثير غيره، كالورثلاني في رحلته،وابن حمادوش الجزائري، الذي أرّخ لحركاته وسكناته في رحلته، أو يمكن أن يكون قد فعل ذلك في أحد كتبه، أو فعل ذلك غيره من تلاميذه، ومازال هذا العمل– إن وجد -في حكم الضياع[19].

---

[15] أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ألي العيش ،أبو العباس (986 – 1041 ه/1578– 1631م):مؤرخ ،أديب ،حافظ. ولد بتلمسان .أخذ عن عمه سعيد المقري توفي بالقاهرة ودفن بمقبرة المجاورين من أثاره 'نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب'. **نويهض ،عادل:** معجم أعلام الجزائر ،ص 310

[16] محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ،القرشي المقري التلمساني ،أبو عبد الله (...–759 ه – ...–1359 م):باحث،أديب،قاض،من أكابر علماء المذهب المالكي و شيخ لسان الدين إبن الخطيب و عبد الرحمن بن خلدون ولد و نشأ بتلمسان و تعلن بها و بتونس و المغرب. و رحل إلى المشرق ، و حج فأخذ عن علماء مصر ومكة و المدينة و دمشق و بيت المقدس. **نويهض ،عادل:**نفس المرجع ،ص 312–313.

[17] **أبو القاسم،سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2، ص 382.

18 **أبو القاسم سعد الله:** نفس المرجع، ص 224/48–390/235

[19] **مختار حبار**، الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني :دراسة موضوعية وفنية ، الاردن ، الجامعة الاردنية, 1990 ،ص:203 .

اسمه ونسبه

هو أبو العباس أحمد بن عمّار بن عبد الرحمن بن عمّار[20]، من أعلام الجزائر العثمانية و أدباءها، عاش بمدينة الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري (18م) ، و قد أهمل المؤرخون تاريخ ميلاده و وفاته، لكن أقدم تاريخ نعرفه عنه هو 1159هـ ، و يمثل سنة تقريظ كتاب الدرر على المختصر لابن حمادوش[21] ،و أحدث تاريخ هو 1205هـ، تاريخ إجازته محمد خليل المرادي[22] ،و المدة بين هذين التاريخين ستة و أربعون سنة، ثم تنقطع التواريخ بعد ذلك كما كانت منقطعة قبله.

مولده و نشأته و رحلاته لطلب العلم:

و إذا علمنا أنّ ابن عمّار لمّا كتب التقريظ (سنة 1159 هـ) كان على درجة كبيرة من العلم كما صرّح بذلك ابن حمادوش[23]،فإنّنا نفترض بلوغه الأربعين في هذه السنة، و هو رأي أبي القاسم سعد الله، الذي رجّح أنه ولد سنة 1119هـ [24]،و على ضوء ذلك يكون قد بلغ سنة 1205هـ ستا و ثمانين سنة، و يكون قد توفي في هذا العام كما في معجم أعلام الجزائر[25]أو بعده بقليل، لأن أخباره تنقطع بعد هذا التاريخ.

كما أن انتماء ابن عمار مجهول أيضا لحد الأن فنسبه لا يعرف إلا على سبيل الظن، و مما يبدوا أنّ ابن عمّار ينتمي لأسرة عريقة في العلم و الشرف، و من الأسر التي كان لها شأن في الجزائر، و يؤيد ذلك العبارة

---

[20] **بسكر ،محمد:**أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة،الجزء الأول،دار كردادة بوسعادة،2013،ص 91-92-93.و ينظر كذلك **عادل نوهض:**معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلامحتى العصر الحاضر،دار الابحاث ،الجزائر،2013 ، ص 151.وينظر كذلك **فوزي سعد الله** :صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان و مدن أخرى،ط 1،دار قرطبة للطباعو النشر،الجزائر، ص 223-224-225.و ينظر كذلك **محمد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان:** إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائرأو الأدب الجزائري عبر النصوص، مجلد 2 ،دار البصائر ،الجزائر ،20&&، ص 115 إلى 121.وينظر كذلك **الربعي بن سلامة،عمار ويس** و آخرون: موسوعة الشعر الجزائري المجلد 2،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر،2009،ص 353 إلى 355.وينظر كذلك **موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين** الجزء الأول:مجموعة من المؤلفين،منشورات الحضارة،الجزائر ، 2014،ص 150 إلى 152.و ينظر كذلك **عبد الرحمن الجلالي** :تاريخ المدن الثلاثة الجزائر-لمدية - مليانة،ط 1،دار الأمة للظباعة،الجزائر،2007،ص 228.وينظر كذلك **مسعود كواتي** ،محمد سيدي موسى:ط1 ،دار الحضارة، الجزائر، 2007،ص 17.و ينظر كذلك **نور الدين عبد القادر**:صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي،دار الحضارة ،الجزائر،2006،ص 211 إلى 213

[21] رحلة **ابن حمادوش الجزائري:** المسماة, لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983، ص259.

[22] **أبو القاسم سعد الله:** تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1983، ص64 و ما بعدها

[23] م س، ص: 260.

[24]**أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي (243/2).

[25] **عادل نويهض:** معجم أعلام الجزائر، ص: 260.

المنقوشة على خاتمه (سليل الأشراف الصالحين، و خلاصة مجد التقى و الدين)[26] ،و يكون المراد بالشرف الصلة بالنسب النّبوي كما هو متواتر و متواطأ عليه في العرف الجزائري.

أما أفراد أسرته، فلا نعرف أكثر من والده كان عالما و على قدر من التدين، و لكننا لا ندري ماذا كان يعمل، و يشير إلى ذلك الشاعر الجزائري أحمد الغزال في مديحه ابن عمّار[27].

هلمّوا إلى مأوى المفاخر و العلا هلمّوا إلى الأسمى ابن عمّار أحمد

بوالده دينا و علما قد اقتـــدى لقد جلّ نجل كان بالأب يقتـــدي

فأكرم به من ماجد و ابن ماجد و أنعم به من سيّد و ابـــن سيّد

و يعرّفنا ابن حماوش بخال ابن عمّار محمد بن سيدي الهادي بأنّه أحد العلماء البارزين[28]في مدينة الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري، دون أن يفيدنا بأكثر من هذا. أمّا ما عدا ذلك فمجرد أسام متشابهة لعلماء سكنوا مدينة الجزائر، و منهم سيدي أحمد زرّوق بن عمّار الذي كان خطيب الجامع الأعظم بالجزائر، و تولّى الإفتاء المالكي في مدينة الجزائر ما بين 1022هـ-1030هـ.كما جاء في سلسلة مفاتي المالكية[29].

أمّا ابن عمّار، فنجده قد تولّى وظيفة الإفتاء على المذهب المالكي سنة 1180هـ ، و ظلّ في الوظيفة إلى سنة 1184هـ[30].

و فيما له صلة بطلبه للعلم، نجد أنّ ابن عمّار في بداياته الأولى قد تلقى العلم على يد الشيوخ داخل الجزائر قبل أن يسافر إلى الخارج، و لاشكّ أنّ دراسته تركّزت أكثر على الفقه و الأدب.

فالأول لأنه كان من عادة المتعلمين حينها ،بعد حفظ القرآن،أن ينتقلوا إلى المتون الفقهية فيحفظونها، و يهتمّون بشروحها و حواشيها ، كمختصر خليل بن اسحاق المالكي، اضافة إلى كتب أخرى تكون مكّنته من تولّي وظيفة الإمامة و الخطابة و الإفتاء فيما بعد،و هذه الوظائف لا ينالها إلاّ من امتلك ناصية الفقه بالإضافة إلى العلوم الشرعية الأخرى.

---

[26] **أبو القاسم سعد الله** : م س (237/2)

[27] **الحفناوي أبي القاسم** : تعريف الخلف برجال السلف ، بيير فونتانة الشرقية ،الجزائر،1906 ،(142/2).

[28] **ابن حمادوش** ، الرحلة ،ص:123/122.

[29] **الحفناوي** ، م س (327/2)

[30] **أبو القاسم سعد الله**: تاريخ الجزائر الثقافي ، (234/2)

أمّا الأدب،فإنّ ابن عمّار كان شديد الميل إليه من خلال حفظه عيون الشعر العربي القديم،كشعر المتنبي و البحتري و أبي تمام... إضافة إلى درر المنثور كرسائل لسان الدين بن الخطيب و غيره، دون أن يهمل التاريخ و السّير، سواء ما تعلّق منها بالتاريخ الإسلامي أو الفارسي أو اليوناني، و نرى ذلك ماثلا في شعره، فمن قوله في مدح شيخه ابن علي[31]:

ما خاض يوما نطقه في حكمة إلاّ اختفى سقراط بين دنانه

و نرجّح أن يكون ابن عمّار أخذ الأدب عن محمد بن علي، الذي كان أديبا مرموقا في عصره، و كثرة ملازمته له دليل على ذلك، و كان يلقّبه "شيخنا"[32].

و مما يلاحظ أنّ لابن عمّار رحلات دينية و علمية طويلة إلى خارج القطر الجزائري، ترجع أسبابها إلى[33]:

أ- الأسباب الدينية: بقصد أداء مناسك الحج و مجاورة بيت الله الحرام، لما للبقاع المقدسة من عظيم منزلة في نفس كلّ مسلم، تزداد بقدر تديّن الشخص و تكوينه الرّوحي.

ب- الأسباب العلمية : من خلال طلبه العلم و السعي في تحصيله ، و الأهم في ذلك طلب الإسناد المتصل، فابن عمّار في رحلته الأولى سنة 1166هـ، كان يبلغ (47) سنة تقريبا ، و في هذه السن يطلب العالم الإسناد المتصل حتى يوثق معلوماته أكثر مما يطلب العلم نفسه، و ذلك بالحرص على مشافهة العلماء و طلب الإجازة للرّواية عنهم.

ج- الأسباب السياسية: فابن عمّار كانت تربطه مودّة مع باي تونس (علي باي) لدرجة أنّه ألّف كتابا حول سيرته، وقد كان هذا سببا كافيا لمغادرة ابن عمّار الجزائر صوب تونس سنة 1159هـ، ليغادر بعد وفاة الباي المذكور إلى أرض الحرمين[34].

و تخبرنا المصادر أنّ ابن عمّار قام برحلتين، أولاهما إلى البقاع المقدسة بغرض الحجّ في سنة 1166هـ، رفقة الشيخ حسين الورثلاني، و قد استوقفهما داعي العلم في القاهرة، فانضمّا إلى حلقة الشيخ <<خليل المغربي>>، فأخذا عنه ما قدر لهما في مسجد الحسين[35] ،و بعد قضائهما مناسك الحجّ، ام ترق لابن عمار

---

[31]أشعار جزائرية، ص:43.

[32] **الحفناوي** : م س (343/1).

[33]**حبيب بوزوادة:** منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمّار، ماجيستر مخطوط، جامعة وهران،2004م.

[34]**أبو القاسم سعد الله**:تاريخ الجزائر الثقافي، (235/2).

[35] م ن ، ص : 235.

الأوبة إلى وطنه،<<فجاوز أثناءها بالحرمين حوالي اثني عشرة سنة>>[36]، و كانت عودته سنة 1178هـ، و في هذه المجاورة كتب رحلته المشهورة<<نحلة اللبيب بأخبار رحلة إلى الحبيب>>،و تولى بعدها وظيفة الإفتاء المالكي بمدينة الجزائري من سنة 1180هـ حتى سنة 1185هـ[37].

و الرّحلة الثانية امّا انتقل <<إلى تونس من الجزائر سنة 1159هـ بقصد الاستيطان بها >>[38]،و قد اندمج في محيطها العلمي، فكانت له نقاشات و مساجلات علمية[39]، و لكن وفاة حاكم تونس علي باي وليّ نعمة ابن عمار و صديقه جعلته يفارق الديار التونسية نحو المشرق، فنجده بعد ذلك يجيز محمد خليل المرادي الشامي سنة 1205هـ في مكان لا نعلمه، قد يكون الشام أو الحجاز، حيث بقي في الحرمين حتى توفي فيهم[40].

ولمّا نجد ابن عمّار يطيل الرّحلات خارج بلده متعمّدا إلى أن يتوفى بعيدا عن الديار، نتساءل عن طبيعة البيئة التي عاش فيها، وهل كانت فعلا لا تساعده على الاستقرار؟.

الأوضاع الساسية و الإجتماعية السائدة:

المصادر تشير إلى أن ابن عمّار عاصر أواخر الحكم العثماني في الجزائر، الذي شهد اضطرابات سياسية كبيرة، كثورة أهل تلمسان التي جعلت المدينة<< شبه مستقلة بأمورها>>[41] ، و ثورة أهل الجنوب و امتناعهم عن دفع الضرائب سنة 1179هـ، وتقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم: شرق، وسط، وغرب، و على كل إقليم باي حاكم.<<و منح بيات هؤلاء القواعد الثلاث المتصرّف المطلق في الرعية العربية بكلّ وجه من القتل و الضرب و السجن و العقوبة بالمال>>، بالإضافة إلى النكبات الداخلية عايش ابن عمار الاستيلاء على وهران سنة 1145هـ و ما تلا ذلك من محاولات عسكرية لتحريرها.

و إذا رجعنا إلى تركيبة المجتمع الذي نشأ فيه الشاعر، نجده قبليا يحكمه وجهاء العشائر و العائلات الكبيرة، ضعيفة فيه سيطرة الدولة خصوصا في عمق المجتمع، الذي كان يعاني من استبداد الأتراك و

---

[36] م ن، ص: 239.

[37] **الحفناوي** م س، (328/2).

[38] **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، (235/2).

[39] م ن، ص: 236.

[40] أبو راس النصر المعسكري، فتح الاله و منّته في التحدّث بفضل ربي و نعمته، تح: محمد ابن عبد الكريم، (م.و.ك)، الجزائر 1990،ص، 49.

[41] **أحمد توفيق ، المدني** : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر 1168 – 1246 هـ ، الجزائر، موفم ، 2011،ص18.

عنصريتهم، فالداي محمد بن عثمان (1179هـ-1205هـ) <<له في السياسة وصمة سوداء لا تنسى، و ذلك أنه فدى من الأسرى الترك وحدهم، و امتنع من فداء العرب>>[42].

شيوخ و تلامذة الرّحالة أحمد ابن عمّار:

و قد كانت لأحمد ابن عمّار في هذه الرّحلات لقاءات مختلفة مع علماء كل قطر، فيستفيد من علمهم، مثل خليل المغربي بالقاهرة، و أحمد بن محمد الورزي المغربي، و عمر بن أحمد المكّي...، و لكن الشيخ الذي كان شديد الملازمة له هو محمد بن علي.

أمّا الذين تعلموا على ابن عمّار فكثيرون، كانوا يتحلّقون حوله في المساجد و دوّر العلم، منهم: محمد أبو راس الناصر، و قرأ عليه الفقه الحنفي، و أحمد الغزال، و محمد خليل المرادي الشامي، و غيرهم[43]. كما<< أن تلميذه إبراهيم السّيالة التونسي>> جمع إجازات شيخه ابن عمّار و مروياته، فإذا هي تبلغ نحو الكراستين و تسمّى (منتخب الأسانيد في وصل المصنّفات و الأجزاء و المسانيد)، و عندما اطّلع عليها ابن عمّار سنة 1204هـ أجاز بها، و وضع عليها خطوطه و ختمه، وقد اطّلع عليها (سعد الله) على خطّ و ختم ابن عمّار[44]،و قد ذكر ابن عمار في هذه الإجازة بعض شيوخه في مصر، و الحرمين، و العلوم التي تلقّاها، فمن مشائخه في مكة عمر ابن أحمد، و بالمدينة حسن بن محمد سعيد، و بمصر محمد الحنفي[45].

مذهب الرّحالة أحمد ابن عمّار:

<<و على الرغم من أنّ ابن عمّار كان متحرّرا من الفكر الخرافي الذي كان يخيم ظلامه على عهده، و على الرغم من عقلانيته، و كونه من الفقهاء الذين كثيرا ما ذمّوا أدعياء التصوّف، و نعتوهم بشتى الأوصاف، كالزندقة و الإلحاد، مثل ما فعل الفكون في "منشور الهداية" إلا أننا مع ذلك لم نجد له أثرا أو رأيا من الآراء التي تنفر من التصوّف، بل على العكس من ذلك، وجدناه ينغمس في (طرقه) و يلبس جلبابه، و يحتذي (طريق القوم)، مثلما اتبع جلّ معاصريه إحدى الطرق الصوفية المنتشرة، كلّ يحتسب اقتناعه و ميله إلى أحدها، لأن ذلك كان عادة العصر، و سمته المميزة له، بل كان يعد<<من لا شيخ له فشيخه الشيطان>>، و لذلك وجدنا ابن عمار يعتنق

---

[42] **عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2. بيروت: 1965،ص(266/3).

[43] **حبيب بوزوادة:** منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمّار،مخطوطة، رسالة ماجستير، 2004، ص: 13.

[44] **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، (36/2).

[45] م ن، ص: 51.

" الطريقة الشاذلية" ، التي كانت منتشرة انتشارا واسعا في ربوع أقطار الإسلام:<< كالمغرب، و الجزائر، و تونس، و طرابلس، و مصر، و غيرها>>[46].

و الحق، فإنّ من يطلع على نتاج أحمد ابن عمّار: نثره و شعره، تطالعه أشواق هذا الأديب (الفقيه)، و تعلّقه بالبقاع المقدسة، كما يجد عاطفة الحبّ هي الغالبة، و هي الدافع و الموجّه الذي دفعه ووجّهه إلى ربط كثير من العلاقات الإخوانية، و المساجلات الأدبية، كما يلاحظ زهده، و ابتعاده عن رفه الدنيا، و كلّ ما من شأنه أن يكدّر صفو المحبة الرّوحية الخالصة<<لوجه الله الكريم لا لغرض فان>>[47] . كما وجدناه ينهي مقدّمة الرّحلة بهدين البيتين[48]:

صرّف بقايا العمر في طاعة و لا يغرّنك كيـــد الغرور

و ارحل إلى الأخرى بزاد التّقى فإنّما الدّنيا متاع الغرور

مؤلفاته و آثاره العلمية:

و أمّا مؤلفات أحمد بن عمّار، فليست معروفة كلّها على وجه الدّقة لحدّ الآن، ما عدا رحلته المسمات (نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب)، و هي بدورها ليست معروفة بتمامها، و لم يسلم من يد الضياع إلاّ مقدّمتها، التي قام بنشرها في الجزائر، سنة 1902م، محمد بن أبي شنب و إذا كانت هذه المقدمة وحدها بلغت هذا الحجم من الصفحات (245ص) فلا شك أن (غرض الرحلة المقصود) يكون أطول بكثير من هذه المقدّمة، و لا يستبعد أن يكون في أجزاء. بالإضافة إلى الخاتمة، و قد أشار إلى هذا التقسيم ابن عمّار نفسه، بقوله:<<و رتبتها على مقدّمة حاتمة، و غرض مقصود، و خاتمة...>>[49].

و لقد قام أبو القاسم سعد الله بإحصاء بعض مؤلّفات ابن عمّار، فجاءت عبارة عن شروح و حواش و رسائل، و إجازات و تقاريظ، نذكر بعضها كم جاء به الباحث مع بياناته عليها، وهي[50]:

1 - حاشية على الخفاجي في الأدب، ذكرها له تلميذه أبو راس في(فتح الإله)، و قال عنها إنها <<عاطرة بالأنسام>>.

---

[46] **سميح عاطف الزين**: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني،ط3.بيروت: 1985، ص: 545.

[47] **أبي العباس سيدي احمد بن عمار**: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبي،تح :ابن أبي شنب ،مطبعة فونتانة ،الجزائر،1903، ص:4.

[48] م ن، ص: 5.

[49] م ن، ص: 4، و المقدمة نفسها ناقصة تنتهي عند قول المؤلف: ما قيل في البان و هو(انحلاف) ، ثم يعقبه بياض.

[50] **أبو قاسم سعد الله**: تاريخ الجزائر الثقافي،(2/240-241).

2 - رسالة في قوله تعالى:" إنّي أريد أن تبوأ بإثمي و إثمك"، ذكر شيئا منها أبو راس في (فتح الإله).

3- رسالة في مسألة وقف، مطبوعة ضمن أجوبة و فتاوى صديقه إسماعيل التّميمي.

4- شرح على صحيح البخاري، ذكره له محمد بن أبي شنب في مقاله الذي تقدم به المؤتمر المستشرقين الرابع عشر (الجزائر 1905م).

5- رسالة على الطريقة الخلواتية، نسبها له الكتّاني و قال عنها إنها<<عمل نادر>>.

6- تاريخ في سيرة علي باشا (باي تونس)، ذكرها له تلميذه إبراهيم السيالة التونسي.

7- <<لواء النصر في فضلاء العصر>>،و فيه تراجم لعلماء عصره.

8- <<مقاليد الأسانيد في وصل الأجزاء و المصنّفات و الأسانيد>>، ذكر فيه الأسانيد التي روى بها الكتب التي قرأها.

9- حاشية على شرح الشفاء لأبي العباس أحمد الخفاجي (ت1069ه).

10- <<نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب>> حققها محمد بن أبي شنب.

11- إجازات و تقاريظ و قطع شعرية مختلفة.

12- ديوان شعر.

قائمة المراجع:

1)-السملالي ،العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام ،ج4 ، المطبعة الملكية ،الرباط ،ط2 ،1998.

2)-التنبكتي ، أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ،تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1989.

3)-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان :سير أعلام النبلاء،تح:شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1996 ، طبعة 11، الجزء.

4)-خير الدين ، الزركلي: الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ج2 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط 15 ، 2002.

5)-نويهض ، عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،ط 2، 1980.

6)-الورد،باقر أمين ::معجم العلماء العرب،مكتبة النهضة العربية ،بيروت ،1986.

7)-أبوالقاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني 1500-1830، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

8)-إبن مريم الشريف ،أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908.

9)-محمد،حجي : موسوعة أعلام المغرب ، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر و الرابع ،الجزء التاسع 1361-1400هـ ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1996.

10)-مختار حبار، الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني :دراسة موضوعية وفنية ، الاردن ، الجامعة الاردنية, 1990 .[1]

11)-**بسكر ،محمد:**أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة،الجزء الأول،دار كردادة بوسعادة،.2013

12)- **عادل نوهض:**معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى العصر الحاضر،دار الابحاث ،الجزائر،.2013

13)- **فوزي سعد الله :**صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان و مدن أخرى،ط 1،دار قرطبة للطباعو النشر،الجزائر،.2011

14)- **محمد بن رمضان شاوش،الغوثي بن حمدان:** إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائرأو الأدب الجزائري عبر النصوص، مجلد 2 ،دار البصائر ،الجزائر ،2011.

15)-الربعي بن سلامة،عمار ويس و آخرون: موسوعة الشعر الجزائري المجلد 2،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر،.2009

16)-موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين الجزء الأول:مجموعة من المؤلفين،منشورات الحضارة،الجزائر، 2014.

17)-عبد الرحمن الجلالي :تاريخ المدن الثلاثة الجزائر-لمدية- مليانة،ط 1،دار الأمة للظباعة،الجزائر،.2007

18)-مسعود كواتي ،محمد سيدي موسى:ط1 ،دار الحضارة، الجزائر، 2007.

19)-نور الدين عبد القادر:صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي،دار الحضارة ،الجزائر،2006.

20)-رحلة **ابن حمادوش الجزائري**: المسماة, لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983.

21)-أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1983

22)-الحفناوي أبي القاسم : تعريف الخلف برجال السلف ، بيير فونتانة الشرقية ،الجزائر،1906.

23)-حبيب بوزوادة: منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمّار، ماجيستر مخطوط، جامعة وهران،2004م.

24)-أبو راس النصر المعسكري: فتح الاله و منّته في التحدّث بفضل ربي و نعمته، تح: محمد ابن عبد الكريم، (م.و.ك)، الجزائر 1990.

25)-أحمد توفيق ، المدني : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر 1168 - 1246 هـ ، الجزائر، موفم ، 2011.

26)-**عبد الرحمن الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2. بيروت: 1965.

27)- سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني،ط3.بيروت: 1985.

28)-**أبي العباس سيدي احمد بن عمار**: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبي،تح :ابن أبي شنب ،مطبعة فونتانة ،الجزائر،1903.